الرجل الذي أحب !!

أحبَّ الجلوس على ناصية الحارة كل يوم، ولم يعمل بنصح رسولنا الكريم « إياكم والجلوس علي قارعة الطريق»

فيقول :« وما لي غيرها»هو لا يحب الجلوس على المقهي، أو أن يحبس نفسه في البيت»كما فعل في سنوات عمره التي تخطت الخمسين، عندما كان انطوائياً ليس له إلا البيت والعمل، لا يسلم على أحد في دخوله أو خروجه من بيته !! موظفاً كان في مجمع المحاكم بالجلاء، ذا صلعة كبيرة محت الأخضر اليابس فيها فحولته إلى واحة مقفرة !! فاشتهر بالأقرع، ظل يحيا في حاله عمره كله ولم يخرجه من عزلته هذه غير الثورة عندما شعر بخطورة المساجين الهاربين من المعتقلات وهجومه على البيوت، فعلى الأهالي أن يحموا بيوتهم من هذا الإجرام !! ظل هذا التحذير المتواصل من قنوات التليفزيون تطن في أذنه، والذعر المستبد على

خلجات زوجته وطفلتيه يتقاتل مع سلبيته وخوفه ويحاول أن يزيح عنه ترددده، وهو يرى زوجته المفزوعة تضم طفلتيها وتقول في رجفة وجلة مهوسة :

« ها نعمل أيه يا قرع في المجرمين اللي هربوا من السجون وجايين يموتونا ؟!! »

فأندفع حاملاً يد المقشة وهو يفتح باب الشقة، ويقول في اندفاع وتهور:

« هأقف مع أهل الحي، ونكسر أي رجل غريبة تهوّبْ ناحية الحارة !! »

وانطلق يلبي نداء أمام المسجد الذي كان يحث الناس عبر الميكرفون بأن يهبوا لحماية أنفسهم وأعراضهم، ووقف وسط الرجال الذين هبوا ليصونوا كرامتهم وكبريائهم !! وفي يده المقشة ليدافع بها عن نفسه، ومع أول مزحة من الرجل الصعيدي عندما ضرب مقشته بعكازه فانكسرت ممزوجاً ومخلوطة بقفشاته :

« بقى هي دي اللي ها تخوف بيها المجرمين ؟!! يا أخي ده ده !! »

وضجت ناصية الحارة بالضحك فتتضاحك معهم، ولم يشعر بغصة الماضي إن مازحه أحد بأي مزحة !! فأباحت نفسه المتزمته بأن تعزله عن صولجان وقاره، وتخرجه

عـلى النـاس خفيـف الظـل في رده، وبحبوحـاً مـع كل السُـمار المدافعـين عـن ممتلـكات الحـي، حتـى اندهشـوا مـن الصعيـدي وهـو يقـول :« دا أنـت أتريـك طلعـت مسـخرة !!»

كانـت ليلـة طريفـة مـن وجهـة نظـره، تبعتهـا ليـالٍ أخـرى اكتشـفت نفسـه المتزمتـه أمـوراً أخـرى كانـت مجهولـة وخافيـةٌ عـن روحـه المرحـة، وأن لناصيـة الحـارة ميـزة كبـيرة كان يجهلهـا.. وهـي كشـف عـورات الجـيران ومعرفـة خباياهـم وهـو متنمـر في مكمنـه ؟!! فتحمـس لتلـك الجلسـة وكـون لجانـاً شـعبية تسـهر عـلى راحـة وأمـن سـكانه طـوال الليـل !! رغـم بـرودة جـو فبرايـر إلا أنـه تغلـب عـلى هـذا الـبرد القـارص، بـأن جعـل شـباب الحـي يحـضرون الأخشـاب مـن هنـا ومـن هنـاك، ويشـعلونها طلبـاً لتدفئـة، لكـي يواصـل نوبتـه الليليـة حتـى تستسـلم ظلمـة الليـل في وداعـة لنـور الصبـح، ويبـزغ النهـار سـاحباً معـه يـوم جديـد مـن الثـورة والاحتجـاج عـلى حاكـم لم يـرع الله في شـعبه .

منـذ مجيئـه مـن عملـه مـن إحـدي المصالـح الحكوميـة، حتـي ولوجـه إلى بيتـه في الثلـث الأخـير مـن الليـل !! وهـو يخـرج مـع أهـل الحـي الشـعبي كـي يسـهر عـلى راحـة سـكانه طـوال الليل وحتـى بعـد هـدوء الثـورة واسـتقرار الأمـن، وانفـض السـامر مـن حولـه وعـاد كل رجـال الحـارة لحياتهـم الطبيعيـة، وتركـوا تلـك الجلسـة، إلا هـو مـازال مـصراً عـلى الجلـوس عـلى ناصيـة

الحارة كل يوم، فأخذ يلم الصبية حوله يأخذ سهرته كل يوم، محدثاً مزاحاً وضجيجاً وصخباً بسبب مزاحه مع الصبية، مما أصاب الناس بالضجر فبدأوا يسخطون عليه ويستصغرونه ويقللون من شأنه، وهو لم يعد يهتم بتلك النظرات، أو هذه الأقاويل المتناثرة حوله، »بأنه راجل تافه«طالما يستطيع من مكمنه هذا كشف أسرارهم، وتعرية كل امرأة ماذا تفعل في حياتها ! فتلك التي تسكن في الدور الأرضي وتشاغل جارها بالنظرات واللمحات، والحوارات الهامسة من خلال شباكه القابع في الدور الأرضي، ويراه يطير فرحاً نحو الشباك حين تنادي عليه، فقد شعرت بخطورة جلسته، وتلسينه عليها فقبعت في شقتها صوناً لكرامتها، وتلك الفتاة التي كانت تناغي فتاها من خلال شرفتيهما في الدور الثاني، أغلقت الشرفة ولم تعد تفتحها بعد كلامه الطنطان الذي طال سيرتها، حتى المنتقبة التي لم تظهر غير عينيها المحتشمة، لم تسلم من نظراته الصقراوية الوقحة كلما همت بنشر الغسيل وهو يتندر على ملابسها الزاهية الألوان والمختفية خلف الأحبال الأمامية !!

نساء الحارة سئمن جلسته التي تقيد حريتهن وتعري سرهن بتلسينه عليهن مع صبية الحارة ولا يدرين كيف يخزأن نظراته الصقرية ويلجمن لسانه السليط !! فهن لا يرتحن إلا مع نهوضه في تعب وتكاسل مجرجراً قدميه

المنهكتين من طول سهره، نحو بيته حيث يعلو غطيط زوجته المهملة وبنتيه النائمتين، يطوّح جسده المنهك على الفراش كي يأخذ قسطاً من راحة قبل ذهابه إلى عمله .

الرجل الذي أحب مازال يتباهى بالدور الوطني الذي لعبه، والذي أحب بفضله الجلوس على ناصية الحارة طوال النهار، وحتى الهزيع الأخير من الليل، فلقد أدمن ملاحقة نساء الحي بنظراته السمجة ولسانه السليط، يلسن على هذه، ويقرع تلك بنظرته الشرهة وهي تغدو أمامه !! ويعلق بصره على شرفاتهن وهن ينشرن الغسيل ويخفين ملابسهن الزاهية الألوان في الاحبال الخلفية من المنشر، كي يتقن نظراته الشرهة وهي تلتهم ملابسهن الداخلية!! حتى ضجت النساء وتمنين زوال جلوسه من على تلك الناصية يدعون عليه بالموت ليل نهار، بعد أن صار وبالاً على حريتهن، ومنعهن من الجلوس في الشرفات يستمتعن بدفء الشمس في الشتاء، أو سمر الليل في ليالي الصيف الرطبة !!

الرجل الذي أحب الجلوس على ناصية الحارة كل ليلة، تبغضه كل نساء الحارة وفتياتها حتى عجائزها تمنين زوال جلوسه من على تلك الناصية، حتى يخرجن في شرفاتهن متحررات، ولا يسمعن منه الفحش، فهو الذي يجمع شباب الحي كل ليلة حوله يمزح معهم بالفحش ولا يرعى

حق الجار في الراحة، بأن يقبع في بيته يهنأ بسلام وسكينة !!

حتى دفع بعض الناس بأن تتساءل لماذا تسيد هذا الفحش كل علاقتنا، ولم يعد حقٌ للجار على الجار، في مراعاة حرمة بيته، والكف عن خدش حيائه طوال الوقت بالسب واللعنات ؟!! لماذا تخلينا عن أخلاق الأجيال السابقة في مراعاة حق الجار في أن يهنأ بالراحة في بيته ؟!! ولا يخدش سمعه قولٌ فاحش أو ضجيج مزاح الصبية حتى طلوع الفجر

هكذا ظل الرجل الساكن في الدور الأرضي يردد تلك الكلمات، ويؤجج شعور أهل الحارة كي تردع هذا الحشد من ناصية الحارة، كلما فتح شباكه ينهرهم عن تلك الوقفة، ويؤيده كل الجيران، حتى ضج الفتي الذي أوصد شيش شرفة فتاته في وجه غلقاً أبدياً، ولم يعد يرى غير شبحها عبر خصال الشيش المتهالك فجن من هذا الجفاء والصد، وفقد صوابه، حين انعزلت عنه فتاته وصدت كل محاولاته في أن يتجاذب معها حديث العشق الدافئ، تتحاشي أقاويل بُثت من ماخور الرجل الذي أحب، وأخذ يرددها الصبية حتى وصلت لمسامع أهل البيت فكان قرارهم أن توصد تلك الشرفة عملاً بالمثل القائل»الباب اللي يجيلك من الريح»وكذلك ضج الرجل الذي ذو الشباك الأرضي بالساعات أنه لم يعد يتناغى مع معشوقته المتمنعة عليه،

وأصبح ينتظراً طيف الجارة كي يتجاذب معها حديثاً لا يتعدي ثواني، فسار مهوساً متذمراً من جلسة هذا القمئ!! ويؤجج غضب أهل الحارة عليه !!

الرجل الذي أحب الجلوس في هذا المكان، حتى أصبح من علاماته، لن يجلس بعد اليوم، فلقد غيبه الموت حين تلقى طعنة محمومة من فتى الشرفة الذي نفذ وعده حين نهره عن جلسته وأقسم ألا يدعه يعود لمجلسه هذا، وسقط وسط مباركة من الرجل الذي يقف في الشباك، وهو يشعل غضب الشاب ويدفعه على تنفيذ الوعد، ويزيد من غليان العركة .. حتى كانت طعنة قاتلة أودت بحياة الرجل الذي أحب، فسقط صريعاً يتلوي وشهق شهقة موت وجحظت عيناه وتسمر بصره يحضن آخر نظرة من ناصية الحارة، في تلك اللحظة شعرت تلك النسوة بفرحة وإحساس بالراحة، وأن الله قد استجاب لدعوتهن المحبوسة بين جدران البيت الصماء، وتعمدن ألا يخفين فرحتهن بزوال جلوسه من على ناصية الحارة، وأخذن يتندرن على موته المفاجئ، وخرجن بملابسهن الزاهية الألوان، يشيعن جنازته باللعنات، ويزين شرفاتهن بملابسهن الزاهية الألوان على الحبال الأولى من المنشر، فبدت ناصية الحارة في أبهى صورة بتلك الألوان الزاهية على الشرفات، وعلت ضحكاتهن تجلجل في سماء الحي !! فرحاً بزوال جلوسه وهن سعداء بمغادرة تابوته

الـذي يحملـه الصبيـة حـين أصروا بـأن يكـون خـروج جثمانـه مـن بيتـه، وليـس مـن مشرحـة زينهـم عمـلاً بوصيتـه، وهـا هـم ينعطفـون مـن الحـارة حاملـين تابوتـه إلى حيـث يـوارون جثمانـه بعيـداً عـن ناصيـة الحـارة !!

الأحد / ١ ـ ٤ ـ ٢٠١٢